تعليم اللغة العربية فى دول الكومنولث الروسى

إعداد : د. فهر محمود محمد شاكر

تعد عملية تعليم أى لغة لغير الناطقين بها من أشق الأمور وأصعبها إذ إنها تتطلب من المعلم والطالب معًا استعدادًا للتلقى من كلا الطرفين. فمعلم اللغة الأم لغير الناطقين بها يحتاج إلى عدة مهارات أساسية تؤهله لهذه المهمة، هذا بالإضافة إلى التدريب الجيد على المادة العلمية والتى لا بد وأن تكون مرنة طيعة لتلائم طبيعة كل مجموعة وكل جنس، وكذا الغرض الأسمى من التعليم إذ تختلف طبيعة كل منهج تبعًا لاختلاف المقاصد والأغراض.

ومن هنا جاء الاهتمام بتعليم العربية لبلدان الكومنولث ذا منحى مختلف من حيث المنهج والمقصد، وبذا تنوعت وتباينت التطبيقات. لكن لخصوصية هذه المنطقة كانت التوجهات والأغراض التى ترمى إلى تعليم العربية مختلفة حيث إنها جميعًا كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى السابق لذا فقد كانت مناهج تعليم العربية فى جل الجمهوريات السابقة متشابهة إلى حد كبير، وكان المنهج السائد فيها هو المنهج الذى وضعه المستشرقون الروس فى موسكو والذى انتشر فى سائر الجمهوريات وظل هذا المنهج سائدًا حتى وقتنا هذا على الرغم من تفكك الاتحاد إلى ما يسمى بدول الكومنولث الروسى.

ولكن مع هذه السيطرة الروسية المركزية على تعليم العربية إلا أن كل جمهورية من الجمهوريات كانت لها خصوصيتها فى تعليم العربية حسب ما تراه من المقاصد والهدف الذى تبغيه من تعليم العربية لأبنائها. بيد أن تعليم العربية فى العهد الروسى السابق كان أكثر ارتباطًا بأجهزة المخابرات الروسية، ولا تزال مرتبطة بها فى بعض دول الاتحاد السابق إلى حد كبير وخاصة روسيا الاتحادية وأوكرانيا. أما الفرق الجلى فى طرائق ومنازع تعليم العربية فيبدو واضحًا فى الجمهوريات الإسلامية وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم والحضارة

العربيـة الإسلاميـة منذ القدم الأمر الذى لم يستطع الروس القضـاء عليه أثناء الحكم السوفيتى السابق.

وينقسم تعليـم العربية فى دول الكومنولث إلى أقسام أربعة كل قسم منها ينحو نحو هدف منشود من تعلم العربية مخالف لغيره، وهذه الأقسام هى:

١- تعليم العربية بهدف تكـوين مجموعة من المترجمين فى تخـصصات عدة، وتكون غـايتهـم نقل المعارف العـربيـة إلى الروسـية للاسـتـفادة منهـا فى المجالات التى تخدم المصـالح العامة الروسيـة. وهذا موجود فى جل دول الكومنولث.

٢- تعليم العـربية بهـدف تكوين كوادر من المسـتشرقـين الذين تكون غايـتهم المنشودة هى الاطلاع على التراث العربى من شتى جوانبه الأدبية والعلمية وبحثه بحثًا أكثر عمقًا من مجرد الترجمة، وذلك لاستخراج مكنون العلم القـديم. وهذا النمط مـرتبط بدول مـعيـنة كروسـيـا الاتحاديـة وأوكرانيـا وجـورجـيـا، هذه الكوادر كـانت ولا تزال فى الأغـلب مـرتبطة بجـهـاز الاسـتـخبارات فى تلـك الدول وإن كانت قد خـفت قبضـتها بـعد تفكك الاتحاد.

٣- تعليم العربيـة بهدف تكوين عدد من الدبلوماسـيين الذين لهم اطلاع على العـالم العربى من شـتى مناحيـه الحاضـرة، وكذلك تاريخـه الغابر حـتى يمكنهم التعـامل مع الدول العربية الإسـلامية بشكل أكـثر تفهمًـا لظروفه ودوافـعـه. وهذا مـوجـود فى جـمـيع جـمهـوريات الـكومنولث وذلك للصلات القـديمة بين العالم العربى والاتحـاد السوفيتى السـابق، وكذلك للصلات الحـضارية بين العـالم العربى وبين جمـهوريات آسـيا الوسطى المسلمة.

٤- تعليم العـربيـة بهدف تخـريج عـدد من المتخـصـصين فى العـلوم العربيـة والإسلامـية، وهم فرع على أصل من الاسـتشراق الروسى ، لكنهم أكـثر

تخصصا وعمقًا وهم الذين تولوا عبء الحفاظ على التراث العربى الإسلامى المخطوط وهؤلاء على قلتهم إلا أنهم أكثرهم خبرة ودراية بأسرار العربية وعلومها. وهؤلاء أكثرهم كان ولا يزال من أبناء المسلمين من بلدان آسيا الوسطى.

هذا ولكل تخصص من هذه التخصصات منهج مخالف للآخر فى الغاية القصوى من تعلم العربية، وإن اشتركوا جميعًا فى الأصل الذى يقوم عليه المنهج الأم الذى يتم على أساسه تعلم اللغة، إلا أنهم يختلفون فى الفروع باختلاف الأهداف المرجوة من تعلم اللغة. ولنبدأ أولا ببيان المنهج الأساس الذى يسير عليه الجميع فى تعلم العربية فى المراحل الأولى:

يهدف المنهج الأساس فى تعليم العربية إلى ما يأتى:

١- تعليم العربية فى المستوى الأول الذى يتضمن الأصوات والكلمات والجمل الأساسية متضمنا بعض الحوارات الصغيرة التى تنمى المهارات الصوتية العربية.

٢- تنمية المهارات الأساسية المكتسبة من المستوى الأول والتركيز فى هذه المرحلة على تكوين الجمل ومعرفة القواعد الأساسية فى النحو العربى مرتقيًا بمعرفته من مرحلة إلى أخرى حتى يصل إلى منتهى المنهج النحوى المرجو دراسته فى هذه المرحلة. ولا بد لنا هنا من تأمل منهج الاستشراق الروسى فى تدريس النحو العربى فهو الذى سيكشف لنا عن المنهج الروسى فى تدريس العربية.

٣- التدرج فى معرفة ما يتصل بالبلدان العربية والإسلامية من جميع مناحيها المعرفية جغرافيًا وتاريخيًا وأدبيا وسياسيًا. وخاصة إذا كان هدف المتعلمين هو أن يكونوا متخصصين فى شئون البلدان العربية فى وزارات خارجية بلدانهم. أما إذا كانوا سيتخرجون مترجمين فإن الاهتمام بنظريات الترجمة وتطبيقاتها واكتساب وصقل مهارات الترجمة سيكون موضع الاهتمام والتركيز.

٤- إذا كان الهدف من تعلم العربية تخريج مستشرقين فإن الحال هنا يتطلب التركيز على التعمق شبه الكامل فى معظم علوم العربية، بيد أن الأمر هنا يتغير إذ إن المنهج هنا يكون أكثر تشعبًا وخصوصية، وتكون الدراسة فيه أقرب ما تكون إلى دراسة اللغة والأدب العربى فى جامعاتنا مع الفارق طبعًا فى طبيعة الاهتمام بموضوع دون آخر، فهم أكثر اهتماما بالتراث العلمى العربى، وأكثر المخطوطات المحفوظة بمكتباتهم الوطنية تضم عدداً كبيراً من المخطوطات العلمية العربية التى يتوفر على دراستها هؤلاء المستشرقون ويخرجون بعضًا منها للنور.

وهكذا نرى أن التنوع فى الأغراض والأهداف التعليمية يستتبع بالضرورة تنوعا وتباينًا فى مناهج وطرائق التعليم، إلا أن العيب الناشب فى قلب هذا التعليم هو ثبات كتاب التعليم الأساسى وكذا القواميس المزدوجة اللغة منذ عهد الاتحاد السوفيتى السابق، وكل محاولة للتطوير والتغيير فى صورة هذا الكتاب الأساسى تعد محاولة فردية فى بعض الأحيان، وفى أحيان أخرى تقوم بعض المؤسسات العلمية والمعاهد الدراسية بوضع مجموعة من الكتب الدراسية الأساسية الخاصة بها التى تلائم طبيعة المنهج الدراسى والغرض الأسمى الذى يبتغونه من تعليم العربية.

وفى الختام فإن تعليم العربية فى دول الكومنولث الروسى تعترضه مشاكل كثيرة إلا أنه من الميزات التى تجعل منه مثلا يحتذى من أمثال تعليم العربية لغير الناطقين بها.

***